محمد صالح الخولاني

"من الديوان الفلسطيني "

مملكة البندقية

شـــــعـــــر

مملكة البندقيـــة - ديــوان شــعر

الشاعر / محمد صالح الخولانى

الناشر / أرت بورت للدعاية والإعلان والنشر

ت : ٣٧٢٢٦٠٦٩ / ٠١٢ ف : ٦٣٣٦٦٠٣/ ٠٦٦

لوحة الغلاف : للفنان الفلسطينى / إسماعيل شموط

تصميم الغلاف: محمد حافظ

الطبعة الأولى ٢٠٠٢

الإهـــداء

إلـى أمـــةٍ سِـبقَتْ إلــى النــار عَنْـوةً

إذا حُقَّ أن يُـهْدَى إلـى العجـز والقسْـرِ

مضـى بعضــها يفـرى لبعـضٍ وخلفــهم

دَوَاهٍ إذا تُخصَـى تجـلّ عــن الحصــرِ

لعــل بـــها يومــــاً تثـــور كرامـــةٌ

فتخلــع عنـــها ربقـــة الـــذل والأســـر

***

إلـى مــن مَضَــوْا تحـت العجـاج أسِـنَّةً

وشـــوكاً وإدمـــاءً علـــى قـــدَرٍ مُـــرٍّ

بـــلا أنجـــم تَـــهدي ولابـــارق يُـــرَى

ولا مـــددٍ ينـــداحُ فـــي ســـاعةِ العُسْـــر

أرَوْا لفجـــاج الأرض أنّ عزائمـــــاً

مـن النـار قُدَّت كـي تسير علـى الجمـر

***

إلى ماردٍ يختـالُ في الأرض سطـــوةً

ويسـري بما شـاعت بلايـاه أن يسـري

يُبَـاهِي بسـلطان الطواغيـتِ لا يَـرَى

ســوَى بَغْيِــه سـيفاً تـــهيّأ للبــتر

لعــلَّ - كمـا أفضـت إليـه نوائــبٌ

يُبادِرُهُ المقـدورُ مـن حيـث لا يـدري

•••

مملكة البندقية

• • •

ما دام يُذْكي النارَ كي تُغَمَّ دونها العيــون
ويُطمَس البهاءُ دونها
وتــوقــد الظنــون
وتوأدُ الحقائق النواصع الجليّه
وينبــري قضـــاتهم
بالفرية المريبـــة الدعيّـــــه
مادام يذكي النارَ في البراح والفِـســـاح
من يملكون صفحة المدى
ويكتبون فوق متنها
بالنار والبارود والدماء والردّى
أقدار ناسٍ تاه ليلهم سُدَى
تسلطاً وعنوةً وسطوةً وعنجهيه
مادام تفسح الزهور رهبةً مكانها
لتستطيل فوق أرضها الأنياب والمخالب القويه
مادام يغدو الحق أحرفاً من المزاعم الغبيّه

تلوكها الذئاب والكلاب والكواســر العَـتيّــه

ويصبح الفداءُ والمضاء والجحافل النبيّه

والمدلجون ليلهم

كي يصبح الصباح موفداً من المنابر العليّه

كالوالغين في الدماء شهوةً رخيصةً دنيّــه

مادام تغمض العيون تستكين للمغَاور السحيقة القصيّه

ويصبح السكوت تحت كل مُرْعَبِ مطيّــه

مادام أجمعوا وبايعوا

وسارعوا بخطةٍ ونيّــه

فلن يكون فاصلاً ليحسم القضيّــه

سوى حجارةٍ . وصبيةٍ . وساعدٍ . وبندقيّــه

يناير ٢٠٠٢

الطوفـــان

...

يا أبناء الطوفان الآتي

يذكركم بالطوفان الصوت الصارخ في البريّـــه

الصوت المدلج في عتمات الليل الآبــق

الناضح من تنور الشمس المترامية ظلاما

يتلو أسفاراً

يلفظها حجر الدور المستعلية على الطرقات

وذوائبُ تنفخ فيها الريح

تسّــاقط مما تحمل خمراً . عسلاً

تسخر من دمها المورقِ في البريّة شوكا

قافلةُ القوم المسترخين غناءَ

المستدنين الشمس ضياءً يعشب فيه الحلم

ليموت على مدرجة الزمن الآتي

زمن الأفكار الصلدة والقسمات النار

حيث الأحلام لديكم يا أبناء الموت

تولد في زمن التيه بلا سندٍ شرعيّ

لتوارى دون مراسم دفنٍ

كالمولودين سفاحا

...

يا أبناء الطوفان الآتي

تتدافع في الأودية وفي شرفات الليل

نُذُرُ الطوفان

وعيون الجندِ المستطلعةُ خواء الخط الأول

المشعلة الأضواءَ مسارج تخبو في مدرجة الليل

حتى تبغتكم أو تبهتكم ساعة هول

ترديكم . توقظ فيكم وَسَنَ الليل المثقل بالأحلام الشبقه

فتعالوا أتل عليكم من أسفار الزمن المر

توشك سارية الفلك النازح تُشْرَعُ في قسمات الريح

سيعض أنامله من كمدٍ من يسخر من حكمةِ نوح

لا عصمةَ بعد اليوم

سيواري زَبَدُ الموج ذوائب كل جبال العالم

فتعالوا أتل عليكم حكمة رب الموج

من يدري يا أبناء الموت القادم

إن كان يُغيض الماء وتقلع فوق الأرض سماء

أو أن تستوي على الجوديّ حياة

من بعد حصاد الموج الدامي

فتعالوا أتل عليكم حكمة زمن الموت
إن كنتم لا تعتصم أياديكم
بحبال الفلك المشرع للترحال
في آخر صوتٍ يطلقه نوتيّ الليل
سيكون القول الفصل لزبد البحر
ولعشب القاع الناشب في الأضلاع الغرقى
ولحكمة رب الموج وللطوفان
لا عصمة بعد اليوم
سيواري زبد الموج ذوائب كل جبال العالم

مارس ١٩٨٢

قواميس الحجارة

•••

افتحــــوا الآن قواميــــــس الحجـــــارة

واســألوا الأحــرف عــن معنــى الجســاره

ودعـــوا الصــــخر يُجلــي ســـــــرّه

عنــــدما ينهــــلّ وعـــــداً و بشــــاره

وانظـــروا طفــــل الأســــاطير الــــذي

تبـــرق الشــــمسُ بعينيـــه شــــراره

وســـلوا ابـــن العشـــر كيـــف اندلعـــت

ألــــفُ عـــام مـــن مواريـــث المــراره

وارتمـــت بيـــــن خُــــطاه غضــــباً

كلمـــا أوغــــل فــــي دربِ أنـــاره

•••

زنــــده الغــــضُ ويُمنـــــاه وفــــي

قــلبه الطفــل الـــذي يحضـــن نـــاره

يحمـــل الليـــلَ صريعـــاً فجــــرُهُ

وعـــلى كـــفيه مقتـــولاً نهــــاره

كـــان ينــــهلُ التيـــاعاً وأســــىً

لعصــــافير الحقــــول المســــتثاره

وجــــراء الحقـــل إن غيـــل بـــــها

والفراشــــات وأصــــداف المحـــاره

علمـــوه كيـــف ينــــهلُ مَـــدىً

مــن جنـــون تشـــعل النقمـــة ثـــاره

حينمـــا اســـتاقوا الـــى قلـــب اللظـــى

عمــــرَه البكـــــر ودنيـــــاه دارَه

والأمــــانيّ التـــي مـــا عاشـــــها

والرســــومات التـــي زانـــت جـــداره

والـــــهوى الطفلـــيُّ والقلـــب الـــذي

طالمـــا أصـــغى لـــه جـــاراً وجـــاره

فـــانتضى الصخـــرَ ســـلاحاً فاتكـــاً

علّـــمَ الدنيـــا بـــه كيـــف الإغـــاره

حـــاور الصخـــرَ بقلـــبٍ مولـــع

بعـد مـــا ألغـــى مـــع اللعـــب حـــواره

فمضـــى للصخـــر ينـــداحُ صـــدىً

لـــم تحُـــزْهُ قبـــلُ أصـــداءُ عـــباره

***

أيـــها الطفـــل ارونـــا ســـافر بنـــا

للمـــدى الموغـــل لـــم نـــدرك بحـــاره

واحـــك عـــن دربـــك والليـــل الـــذي

يشـــعل النقمـــة نـــاراً و منـــاره

علّـــم الأجـــيالَ أنّـــا لـــم نـــكن

غـــير أصـــداء حـــروفٍ مســـتعاره

حينمـــا كنـــت لـــدى الـــروع وفـــي

أعيـــن المـــوتِ ســـفيراً وســـفاره

أيـــها الطفـــل احتجـــز كـــل الخُطـــى

وامنـــحْ مـــن ذاكـــرة العجـــز اصطبـــاره

نظـــرْ المـــوتَ إذا الـــموتُ بـــدا

لجبـــانٍ قـــدَراً يخـــشى انتظـــاره

وأر الدنيـــا بإيـــقاع الحـــصى

فـــوق رأس البغـــي فنّـــاً و حضـــاره

فـــهي مـــا زالـــت وفـــي القلـــب هـــوىً

مـــن مَـــثار النقـــع تســـتهدي غبـــاره

أجـــفلت عـــبر زمـــانٍ موجَـــع

تـــارةً تُغـــري وتـــزري ألـــف تـــاره

كلمـــا عَـــنَّتْ لـــها أو صـــابُنا

مُـــرَّةً خلـــف دعـــاوانا المشـــاره

فرقــــة . بغضــــاء . عجـــزاً . ثقــــة

فـــي الــــذي يشـــحذ للشـــاةِ شـــفاره

تـــزدري تاريخنــــا . تـــزري بـــــه

تطمـــس النـــورَ إذا يغشــــى غمـــاره

إن ســــما زهـــــوٌ إلـــــى يَغـــرُبِهِ

أو تولـــت عـــزةُ التيـــه نـــزاره

وإذا عُــــــدتَ صبيـــــا ألقــــا

ســار فــوق الجمــر واســتحلى مســاره

ذهلـــت حيـــن تـــراءى فيلقــــا

مــن حصـــى الســاحةِ يســتصفي شــعاره

يالـــــه مــــن نبــــإٍ فــــي دفــــتر

أن تُــرَى فــوق الغيــوم المســـتطاره

ملكــــا يختــــال فــــي موكبــــه

ولـــــه جنـــــدٌ وأتبــــاعٌ وشـــــارة

وصــدىً فــي كــل أفــق ينتشــي

كلمــا أوحــى إلــى الدنيــا انتصــاره

فــاحتكمْ واحكــمْ بمــا شــاء الحصــى

فلــك الآن مقــاليد الإمــارة

***

يــا ديــاراً ربعــت حتــى اســتوى

فــوق متنيــها النــدى يشــعل نــاره

كيفمــا كــانت ندامــاك فمــا

كنــتِ فــي هــولٍ ديــاراً مســتجاره

قــد غــدا ســيفك لمــا نفقــتْ

خيلــك النُجــبُ بــلا ســاح وغــاره

قنيَــة مــن زمــن كــان بــه

لشــفا الســيف اقتــدارٌ ومــهارة

صدئــت فيــه التواريــخ ســدىً

وانــزوى فــي حســرةٍ ينعــي اقتــداره

وتـــــولاكِ زمــــانٌ قــــد وَفَـــى

عزمُـــهُ الخـــائرُ أن يرعـــى ذمـــاره

•••

يـــا ديـــاراً أســــلمت خاتلـــــها

سِـــرُّها الموصـــد يفتـــضُ ســــتاره

أطفئـــي شـــمعك وانـــهدّي حصـــى

وترامـَــيْ فـــي لظـــى الـــهول حجـــاره

أســـلمي كـــل صبـــيٍّ قبضـــــة

مـــن ذراك الشُّـــمِّ تســـتنقذ عـــاره

وإذا مــــات فشـــدي قـــــبره

فغـــداً يحيـــا لكـــي يُرجِـــعَ داره

مارس ١٩٨٨

يا قدسُ . يا بغداد

* * *

يـــا قـــدسُ يـــا بغـــدادُ مـــا أبينـــا

إذ أطبقـــوا ســـماءنا علينـــا

ولا إلـــى مجيـــدةٍ ســـعينا

لمـــا ترامـــى كيدهـــم إلينـــا

غـــالوا ثرانـــا واعتـــدوا علينـــا

ونحـــن مـــا غلنـــا ومـــا اعتدينـــا

وأوثقـــوا عـــن أمرنـــا يدينـــا

وأوســـعونا خدعـــة ومَيْنـــا

ونحـــن نســـتعذب مـــا صلَيْنـــا

غوائـــلاً فيـــها نقـــرُّ عينـــا

نزعـــم أن نـــدرى ومـــا درينـــا

وعُمّيَـــت ســـبيلنا علينـــا

يُلقـــى بـــها قضيّـــة إلينـــا

لعلنـــا نقضـــى فمـــا قضينـــا

كنـــا نعيـــد الأرض لـــو أبينـــا

لـــو أننـــا فـــى زمـــرةٍ أتينـــا

لـــو أنّ رأيـــاً واحـــداً رأينـــا

أو أننـــا نملـــك مـــا لدينـــا

لكـــنّ قومـــا سُـــلّطوا علينـــا

أزروْا بنـــا جاريـــة وقيْنـــا

صرنـــا لـــهم أســـرى وفـــى يدينـــا

أغلالـــهم تنـــهلُ مـــن يدينـــا

ولـــو نعـــى الموقـــف لاهتدينـــا

لكننـــا مـــن بعـــدُ مـــا وعينـــا

مايو ١٩٩٨

ويصبح اليمام قاذفاً مقاتلاً

• • •

خسارةً ما يهدل اليمام . ما يطأطئ النخيل هامه
لكي تُدلَّ في السماء غيمةٌ مراوغه
مضيَعةٌ للوقت . ملهاةٌ بكل ما يبرق في السماء من نجوم
أن توقظ الطيورُ كل حسها المشبوب بالغناء
لكي تتاح للعقبان ساعةٌ من النزق
ولحظةٌ
من نشوة استعلاء زهوها العنيد
جارحةٌ وجائحة
أن يضرع النخيل . يستحث أذرعه
ويمعن ارتحاله في أبحر ممنّعه
لا أفق . لا شطآن . لا قمر
من أجل أن يقال إن وُسعَهُ سفر
وإن طوقه

...

ما خلق الهديل في اليمام
إلا لكي تتاح للوجود ومضةٌ من الدَّهَش
وكي يذوب أهل العشق في معيّة المواصلين
وما استكنّ في طبيعة النخيل أن يميل
إلا لكي يشارك النُّهَر
معزوفة التجليات في السَّحَر
لا أن يخرّ . ينحني
لسطوةِ المِلال والضجر

...

قد علمتنا حكمة الزمان
أن اندياح ظل النخل للعنان
شاراتُ عِزّهِ في ساحة المطاوله
وفي مقام الاستعلاء والمنازله
وعلمتنا أن في مواسم الجنَيَ
تسقط دعوى الريح حين تفتري المقولة الحرام
وعلمتنا حكمة الأيام

أن الشجى المنهلّ في تواصل اليمام
تيجانُهُ وزهوُه الأثير
وأن في انتشاء الوقت غاية المرام

...

خسارةٌ ومضيعه
لما اليمام ينثني عن ساحة الغناء
لما يخلّي في السماء موقعه
لكي يضلّ في مسارب المجادلة
إزاء ماتبدي الصقور والغربان والعقبان
لكي يُقادَ في نهاية الدروب
نسائراً في كل مخلبٍ خئون
لما النخيل يستحيل عن مواسم الجَني
إلى مواسم التواصل الحزين
مع انكسار الضوء في العيون
ولوثة انتحار الحكمة المناضلة
على شفير الموجة المخاتلة

...

قد علمتنا حكمة السنين
أن نستبين الوهم في قراره المكين

إذا استعار الوهم حكمة اليقين
وأن نرى التماعة الحسام خلف الابتسام
إذا اختفت وراء كل بسمةٍ لعوب
قساوة الأضراس والنيوب
وريحُ جوفٍ منتنٍ
ووجه ثعلبٍ مخاتلٍ كذوب

...

لكنّ عندما يكون للخطاب فـــصل
وعندما يكون فصل القول أن نكون
أو في خضم الهول لا نكون
فسوف ينحني على جذوعه النخيل
ليلقط الرجوم والقذائف المسوّمه
وينثني في الزحف يضرم النفير
وسَوف يحتمي بصمته اليمام
لكي يعود سربه أبابلاً
ينهمر السجّيل وابلا
ويصبح اليمام قاذفاً مقاتلا
دويّهُ بداية الغناء
نهاية الجدال .. والمساومة

يناير ١٩٩٩

الى امة العرب

•••

أهاجني فيكَ ما يستنفر الغضبُ

ومـا يُجَنُّ عليكَ اللهوُ واللعبُ

يأيها الوطنُ المغلولُ من فمه

وكاحليه فما يفضي وما يثبُ

ومـا يثور وما يُلقي أعِنَّتَهُ

ومـا يحاذر عن دهياءَ تقترب

***

بأيِّ وجه بلفح العار يلتهب

تلقَوْن دنياكم البتراءَ يا عربُ

وأيُّ سمتٍ زريٍّ تطلعون به

تغض من قدره الأزمانُ والحقب

تمضي إلى عزها كل الشعوب ولا

تمضون إلا لشأنٍ كله عجب

بـاتت أحـاديثكم فـي الكـون سخـرية

تلغـو بـها النـاسُ و الأقـلام والكتـب

هـاجت بكـم عصبـة البـاغين وانطلقـت

تُجـنُ فـي سـاعديها النـارُ واللهـبُ

فـي كـل يـوم دمـاءٌ لـو نثـور لـهاً

يقضـي لـها فـي دمانـا العِـرقُ والنسـب

لـكنّ ثورتكـم للحـق نافـلة

وفـورةٌ فـي بـراح التيـه تنسـكب

مـا عـاد تسـعفكم خيـلٌ مسـوّمة

ولا رمـاحٌ ولا صِيـدٌ ولا قضُـبُ

هـلاّ أهـاب بكـم سـيلُ الدمـاء ومـا

يسـتصرخ الفـزعُ المجنـونُ والنصَـبُ

هـلا راينـا نسـيباً عـزّ فـي نسـبٍ

أم التقينـا حِسـيباً عـزّهُ حَسَـبُ

يمضي إلى شـرف الدنيـا يتيـه بـه

فلا يهـول بـه فخـرٌ ولا نَشَـبُ

هو المتـاعُ الـذي يُـزري بصاحبـه

إذا انزوى عن عـلا يُرْجَـى لـها طلـبُ

هـلا انتسـبتم إلـى تـاريخ أمتكـم

إن كان يُنْـمي إلـى عـز الرجـال أب

أم ارتميتـم بـعيداً عـن معـالمه

لما اسـتوى فيـه مُنْبَـتٌ ومنتسـبُ

•••

لمـا تصـيرون أعنـاقاً مطوّقـةً

وألسُـناً علموهـا كـيف تغـترب

وفكـرةً عَـوّدُوها وهـي صـاغرةً

لأيِّ قـطبٍ مـن الأقـطاب تنجـذبُ

فكيف تبقي من الناموس هَيبَتَهُ

وكيف تَخْفقُ في داراتها الشهب؟!!

***

طوبى لشعبٍ يذلُّ المستحيل له

لا أن تذلَّ له الأقوالُ والخطَبَ

يرقى إلى الشمس يطويها بقبضته

ويعصر الغاية العظمى ويحتلب

لا أن يؤمِلَ في الأقدار يسألها

وماله عندها زلفى ولا سببُ

ما يصنع العود في كف تصول به

لما ظباها من الميدان تنسحب

***

حكّمتم الذئبَ يقضي في قضيتكم

فانساح في شرعه التلفيقُ والكذب

في حكمه شـــرف القـــانون متـــهمٌ

وتحتـــه قــــائم الميـــزان يضـــطرب

يـــرى العـــدالةَ أوصـــالاً مضـــرجة

والحـــقُّ في عنفـــوان النـــارِ يُسْـــتَلَبُ

ويبصرُ المجـــرم العـــاتي يلـــوذ بـــما

قد غَلَّ سيـــقَ لـــه التأييـــدُ والغـــلَبُ

يُغضي عن الحمـــل المذبـــوح مبتهجـــاً

وللذئاب العطـــايا فـــوق مـــا رغـــبوا

فهـــل يـــؤمَّلُ خيـــرٌ فـــي عدالـــته

وهـــل يُـــطَالُ علـــى إغضـــائه أَرَبُ

•••

ماذا لـــكم عنـــده ترجـــون مِنَّتَـــهُ

وفي خزائنـــه مـــن إرثـــكم عجـــبُ

إذا انصرفتم لـــه تحصـــونَ عِـــدّته

كَلَّ المحاســب واستشــرى بــه النَّصَــبُ

بـــــردَّةٌ لـــكمو ذلاً ومســـألَـــــةٌ

وتغمضـــون عيونـــاً ملؤهـــا الرَّهَـــب

تغضـون عـن كيـده فيكـم وياعجـــباً

يصـير منكـم لـه رُجْـــعَى ومُنْقَـــلَبُ

لم يـألُ عـهداً ولـــم يحـــفل بـآصرةٍ

وتُهْـرعـون إليــــه واهـــباً يـــهبُ

جـاءت جرائركم مـن قبـلُ مـا وهبـت

أشـــداءها لـــزنيمٍ جــــاء ينتـــهبُ

ومـا عطـــاياه إلا النــــار تنفثـــــها

مســـاربُ الأرضِ والآفـــاقُ والســـحبُ

ففي العـراق الضحـــايا مـلءُ ســاحته

وفي فلســـطين ســـفاحٌ ومغتصـــب

وفي الخليج جيوش البغي جاثمةٌ

رايـاتها في الـذُّرا تعلـو وتنتصبُ

أنتم أتيتم بها ناراً مؤججةً

فبادر اللص لما أبرق الذهب

حين احتريتم قطيعاً ثار ثائره

وكلٌّ عادٍ له من خصمه سَلَبُ

ولو رددتم إليكم نخركم رجفت

من تحته الأرضَ وانهارت به القببُ

وارتد يسألكم عفواً ومغفرةً

ولان منطقُه واستوثق الأدب

وعادت الحكمة العصماءُ ناصعةً

ومُزِّقت دونها الأستارُ والحُجُبُ

وعاد يبصر قوماً قادرين على

لَيِّ المقادير لو يسري بها العطب

لكــنَّ واحســرتا بعـــتم قضــيتكم

بلحـظةٍ من متـاعٍ مـا لــها عَــقِبُ

قولـــوا أحـــرض . إنـي لا أخـــبئها

ولا أداري جنـــوناً ليـــس يحـــتَجب

فـمن يَـــرَ البغـيَ يســـتشري بأمتــه

فـليس يعصـمه مـــن نـــاره هَـــرَبُ

•••

المـاءُ والنــفطُ مرصـــودانِ مــن زمــنٍ

حــلماً يــراود قومــاً أينمــا ذهــبوا

هـــذا يعـــلل أكبـــاداً ممزقـــةً

وذاك يــنكي ســعيراً ظـل يلتهـــب

تلك البضاعةُ تغــري القــوم فــي طمــعٍ

بنو العـــروبة فيــه النـــارُ والحطـب

وفي فلسطين ثاراتٌ مؤجلةٌ

لموعدٍ هو مأمول ومرتقب

أنّى يحينُ وقومي كلُّ عُدتهم

أبو البيانِ اللسانُ المعجِبُ الذَّرِبُ

بنو الخنازير أرتالٌ مُدَجّجةٌ

جيشٌ قويٌّ عتيٌّ فاتكٌ لَجِبُ

في غفلةٍ من سكارى عاجزين نَمَوْا

وأعليت لهم الراياتُ والنُّصُبُ

قدّامه صِبيةٌ أرخَوْا أعنتهم

وسابقوا الريحَ صوب النار ما تعبوا

لو أطلقوا حجراً من ساعدٍ لَدنٍ

باتت لهم راجمات الهول تصطخب

زُغْبٌ تطيرُ وما للريش أجنحةٌ

وفيلقٌ رغم ما يضري به تَعِبُ

لو أزْهِقَتْ رُوحُ فَذْمٍ من أراذلهم

ثاروا به ثورة يضري بها الغضب

وأوسعوا العالم المنكود لائمةً

واستنطقوا فريةَ التاريخ وانتحبوا

وألفُ ألفِ شهيدٍ من أماجدنا

في زعمهم صورة البغي الذي شجبوا

وذلك العالم الأعمى يصدقهم

ويستميل رضاهم كلما شغبوا

ولا يصير لديه في قضيتنا

إلا التخاذلُ والإغضاءُ والهربُ

لأنه يزن الدنيا وشاغلها

بقوة ليس في ميزانها العَرَبُ

سبتمبر ٢٠٠١

عرس الدم

•••

" مع الاعتذار لشاعر أسبانيا الكبير لوركا "

•••

الى روح المناضلة الفلسطينية وفاء إدريس
شـهيدة العملية الاستشهادية في شارع يافا
بالقدس العربية

•••

قد كنا نحسب أن رؤاها
تبحر من فوق متون الأشرعة الخضراء
لمدىً يسّاقط فيه الغيم ندىً موصولاً عبقاً
ويصالح فيه العُشُبَ الماءُ وتنبت في أحداق الطير زهور
ويراقص فيه الشمسَ القمرُ ويصحو الشجرُ على دقة قلب العصفور
وتُماسي الليلَ وقد رافقها البدرُ إلى محفل ألق منثور
إذ تومض كل مساءٍ في عينيها
ألف بنفسجةٍ زهراءَ نديه
وتراودها
أشواق الصبوة وتباريح القلب المُضنَى
لفتىً ما زال يواعد في عينيها كوناً
يخضلُّ كألف نهارٍ ضاحٍ مشبوبٍ وضّاء
تنهَلُّ مواعيداً للبوح المشعل في عينيه مرحاً

وكألف مساءٍ يُدني من شفتيه أفاويق الليل المفتون
يستبقيها حتى آخر يومٍ في ذاكرة العمر
ما زال تفئ به الأشواق لكي يتداح سفيرا
من ظمأ الروح إلى سانحة اللهفة في الزمن المرصود
ينساب على مدرجة الريح . يئوب وفي كفيه هدايا
من كل فجاج الأرض جناناً وبساتين وريًا
يحملها باقة حب حين يحين الوعدُ حفيًا

***

قد كنا نحسب طائرها النزق العربيد
مفتوناً بالرّصَدِ الموقوت يُجَنُّ على صهوات الريح
ويسابق حتى يدرك أفياءَ الورد المورود
يتقافز تحت سماواتٍ راعشةِ الضوء
مترامية الآماد ومستدنية الأحلام المتواثبة الوثقى
تنفضُ عوالمَ ما وسعتها خلف حنايا الأضلع يوما
مهجٌ مرهفةٌ وتباريح

***

ما كنا نحسب أن بجنبيها تنوراً من أشواقٍ عجلَى
يتوقد كي يستدني وعداً يُشْعَلُ فيه التوق
وتضاءُ على جنبيه شموسٌ مشرعةٌ بالنار
النار المتواعدةِ على ما تبرق فيه العين

لما يمسي استرخاء الكف بحضن الكف رسولا
محموماً بشآبيب اللوعة واستنفار الحلم الراعش في الأحداق جنونا

***

ما كنا نحسب أن فتاةَ العمر المنفيّ الدامي
تتجاسر . تنزع من جنبيها زهرةَ فل
لتحل مكان القلب المولع خارطة الوطن المغلول
النابض في الأحناءِ دَوِيًا
عشقاً تتداعى دون رؤاه
كل الأعراس المتواثبةِ على شرفات الحلم الأنثاوي

***

حين انداحت أعراسُ الليل تُضَوّي بعناقيد النور
وضياء الفرح الغامر في أبهاء الوقت المترع زهوا
قد كانت توغل في أعراسٍ متواثبةٍ نشوى
ومحافل حبٍ لم ترصدها قبلُ عيون تغوَى
بغوايات الألق المنثور على أروقة الليل
في شارع يافا
في قلب القدس العربية
" العربية " بالعين المهملة الفصحى
يا من تضعون سنان الرمح ونوب الملح وميثاق الكذب الملعون
في مقلة عين الذاكرة الملتاثة رعباً واستخذاءَ

لما التاريخ يصير دعاوَى فاجرةً شوهاءَ عماءَ
ويصير صدى أذكار الصبوة وتقاويم العشق
ونداءُ الرغبة في الأفئدة العطشى
كتباً تستنهض أحلام الزمن الوسنان
يتعلم منها الخلق ويستجلي شوق الإنسان
تاريخ الومضة حين يصير دهورا
من ألق الحكمة يستقرئها الليل
ويموج ليستنطقها الرمل على الشطآن
ويبارح أرض الولع الفائر بتباريح الموت
عصفور النار يطير . يدور . يبوح . يبادر آفاق الأكوان
كي ينشر فوق رباها دينا
تندلعُ على دنياه نبوّةُ طير لما يبلغ بعدُ الحلم
لما يتداعى الموت يصير نشيداً .. في حب الأوطان

فبراير ٢٠٠٢

وفي القلب خارطة للرحيل

•••

" إلى شهداء العمليات الاستشهادية في الأرض المحتلة "

•••

أراهنُ أن التي ولدتك التي أرضعتك التي حممتك غداة انزلقت

إلى عتبات البراح الجديد

سقتك مع النار عصف البراكين غطتك في حمأة الشمس لفتك

في بردةٍ من لهب

وغنتك في المهد صوت اندفاع الغضب

وصوت اندلاع المواقيت بالعنفوان

وشدت خطاك على الجمر كي تستقيم ربيب المواجد وابن

اللظى والدخان

وصبت بحلقك ذَوْبَ احتراق التواريخ والأزمنه

وحطت بعينيك كل انطفاء الرؤى

فلا يستحيل بخطوك إن سرت فوق الأسنة غير انعتاق الجنون

•••

أراهن أن الذي صَوَّبَ الدفق في المستقر العتيم
تنزّله من سواء الجحيم
وثار به شهوةً مُرَةً
كما تلد النارَ ريحُ السَمُوم
لكي تستحيل اليفاعةُ تحت الوقيد اندلاعاً
وموتاً شجاعاً
غداةَ يُصار إلى موقفٍ لا محيدَ عن الموت قهراً
سوى لارتدادٍ إلى الموت فوق احتراق المعابر

***

أراهن أنك أوحيت للنار وحيا
تَنَزّى فليس له مستقر
وأنك أدلجت في الليل سِرًّا
تململ في ظلمة الدرب يقتات من هاجس الليل خلف الكُوى والحفر
ويستنطق النارَ أن تُقرئَ الصمت أنشودة اللا مفر
أراهن أنك ألقيت من معجمٍ مستريب الصور
إلى لغة النار والدم في مستهل المطر
أراهن أنك لست سليل بشر

***

أريق ثلاثة أرباع عمري
لكي أتصوّر لحظةً كيف يعاش المدى
وفي القلب خارطةٌ للرحيل الوشيك
ووقع الثواني
له مثلُ وقع المزامير والأغنيات
يراقص في القلب أنشودة الموت حين تعود طقوساً
مهيبه
بها يتعبّد الناسك الفذّ خلف الهزيع الأخير
يصلي صلاةَ المودع يقرأ فاتحةً للمثول
ويمعن مستغرقاً في التراتيل قبل انبلاج الوصول
وفي لحظة الدفق تغدو المرايا شظايا
تود الصبايا لو أن الزمان ابتسم
وقد عُذن منه
لدى الحلم باللثم والضم والشم
بمزقة لحمٍ ولوثة دم
تعلّق بين النهود وبين ائتلاق الخصل
تميمة عشق صدٍ لا يموت

***

ويعتسفون المقولات ينتحلون وجوه الشهود العُدُول
يذيعون مَيْناً
بأن البراءةَ مسفوكةٌ في يديك
وأن انتلاق المواعيد يُغتالَ وهو مشيرٌ إليك
ويستجمعون عليك الملاحاة بالإفك واللعنة المُدَّعاةَ الكذوب
إذا يلبسون الأفاعيَ ريشَ اليمام
وينتحلونك زوراً لسَمت الأفاعي الخنون
***
أقول سَلِمْتَ ؟!
وكيف .. وقد صرتَ ألف رسولٍ إلى الموت مُستَنْفَرٍ للقاء
وكيف تُرادُ السلامة في موقفٍ يدسبح الموت فيه انتهاء المرام
وغاية قصد المُريد وسكةَ من يمنحون الحياة السلامة ؟
ولكن أقول
تباركتَ في الأرض قُدْساً وضيّا
يحاورك الطينُ والماءُ في مستهلّ المواسم
لتغدو في الأرض ورد البساتين . ريّ الحقول
ولون السنابل . تاريخ يوم الحصاد
لتصبح في الأعين الظامئات ابتهال المحبين للحظةِ الواعده
لتنبت فوق المعابر . خلف ارتعاش السكون

أكفاً . بنادقَ .ناراً . مُدَى
حكايات عشقٍ لأرضٍ
سُدىً .. لن تموت

أغسطس ١٩٩٧

اعراس الموت

...

-١-

لا أحد يغني للموت

فالموتُ عبابٌ ساجٍ

يفضي لسراديب الليل الموغل في أعماق الظلمة

يطبق . ينهلُ كطوفانٍ دامٍ أبدي

ينسرب إلى أشواق العالم

يُطفئ داخلها

حس الأكوان بما توحيه تفاسير الأشياء

ولذاك فليس يغني أحدٌ للموت

لكن حين يكون الموت طيوفاً مترعةً خضراء

موسيقا تنزع من صوب الملكوت الأعلى

جوهرة . لؤلؤة في القلب

تنحل رياحين وعشقا

أوردة ملأى بالأشواق

حين يكون الموت نداء قدسيا أسنى

قدراً يتخيّر من آلاف الأقدار المترامية شموسا
تُدفئُ كل الأعصر والأزمان
تُنْطِقُ حتى قمم الأشجار ودفق الأنهر وشآبيبَ النار
وتُواتي مسرى خفق الريح
تُنطِقُها بأحاديث التَّوقِ الماثل في كل أساطير العشق المجنون
حين يكون الموت كذلك
تتداعى فيه كلُّ شعاب الأرض ... غناءَ

-٢-

الموت عندنا
ما عاد مثل الموت في معجمه القديم
كينونةً بتراءَ واهنةً
كابيةً ومستثارةً ومزمنة
ما عاد لوثةً
عمياءَ يستفزها الجنون
تنداح في انكفاءة الأحداق والعيون
مبكىً . أسىً . مناحةً ومحزنه

***

للموت عندنا
طقوسه الملوّنة

حمراء بالنجيع تارة
وتارة وردية
كلون أفراح صغيرة مزينه
وتارة
خضراء يوشك اندلاع لونها
أن ينبت الزهور والفواكه العذراء والعطور
وتارة
سوداء في عماية المحاور المداهنة
وتارة
مجلوة . صديقة . بيضاء . مؤمنه

***

ما عاد للموت العتامة القتامة القديمه
فقد غدا للموت عندنا
مظاهر التألق المنداح في العيون
تحصبها
من شوق ما استكنّ في انتشائها
كأنها ريحٌ عصيّةٌ حرون
أو لوثة انعطافة الجنون

***

للموت عندنا
أعراسه وطيبُهُ . أعلامه المزيّنه
غناؤه ورقصه
وبهجة العناق واندلاع الاشتياق
وعندنا للموت لحظةٌ
يُهِلُّ في انبثاق ضوئها
توهج المراهنة
***
للموت عندنا
دعاءُ ضارعٍ
كنيسةٌ ومئذنه
صلاةُ مُخْبتٍ
قنوتها انهمار سيل النار في العروق
وُضوؤها
دمدمةُ الإعصار والحريق
فاتحة الكتاب•ما يئزُّ فى ارتعاشة البدن
وما يمور فى اندفاق كبريائه الوطن
تكبيرة الإحرام ساعةَ الصبيان يوفضون للحجر
وحين يودعونه
مساره المؤجج الأثير
ينثال دفقُ النار فى التشهد الأخير
***
الموت عندنا
ياقوتةُ العمر الفريدةُ المخبّأه

تضنُّ أن تطولها يد الزمان الصدئه
تخشى عليها الليلَ والنهار
ونتقى لو مرةً شعاعها
يومض هَوْناً فى مدى الرؤى
يشى بسر الكنز والوديعة الدفينه
الموت عندنا رهينه
دمٌ معتقٌ نحتال أن نصونه
فلا نبيحه إلا لمشهد الجلال والمنازلة
إذا تداعت صولة الكتيبة المخاتلة
خلف الوجوه الفظة المنتحله
وفى تواتر المشاهد اللقيطة الدعيّه
ساعتها نبيح سرّ ياقوتتنا الخبيّه
ندعو لعرسنا الآفاقَ والشتاتَ والمَدَى
لما نقيم للدماء والفداء والمضاء والنّدَى
أمسيةً وساحةً وقبةً ومَنتدى
لما صغارنا يبنون من مقولة انحجر
مدائن الخيالِ والجمال والظلال والصور
ويحملونها بيارقاً بيارقا
خطواً مديداً دافقاً وواثقا
في محفل القيامة المجيدة العصيّه
وصولة المشاهد النبيلة النبيّه
ورحلة الإسراء للمشارف الصدّيقة البتول

مايو ٢٠٠١

أنا... وأبونا الذي في السماء

• • •

-١-

إني أتمادى في الطرقات

أسألها مأوى

أو بقعةَ ظلٍ تحت جدارٍ آنسُ فيها روحي

فأنا منفيٌّ عن ذاكرتي

لا أذكر لي عنواناً أعرف فيه دارا

أتلمس فيها

ما يمنحني صيغةَ سمت أبدو به

ومعالم روحٍ أقرأ في معجمها ذاتي

لكنّ صداه يتعقبني

يطردني حتى من ساحة الظل

ويموّه لي الأشياء فلا تبدو لي غير مرايا معتمةٍ سوداء

إن شاء ينووب فيفرج لي عن بقعة ضوء

أتملّى فيه لا أبصره إلا وجها

يتراوح فيه البهرج والأصباغ وضوء الإعلانات النزقه

ويعود فيطفئ ما يندَاح لعينى من بارقة النور

وإذا ما شاء بأن يؤويني
يتخيّر لي هاجرةً تضرى بالهول المرصود
لا أذكر أنى قد أُفزِعتُ بأنكر منها صوتا
وإذا ما شاء بأن يطعمني
يصنع لي خبزاً لم آلفه مذاقاً عمري
يتراوح فيه الملح وصهباء العنت الممرور
مع أن بأرضي مأدبةً خضراء سخيّه
وإذا ماشاء بأن يسقيني
يتخير لي ماءً موسوماً ليس يبلُ غليلي
تتراوح فيه دعاواه اللاتي مخلبها ينشَب في الحلقوم
مع أن الكوثر رافده من فيض النيل

***

من خلف تضاريس المملكة المترامية العظمى
لا أقدر أن أنساح إلى وادٍ يطلقني فيه البوح
أتحسس ما في قلبي
لما تتداعى فيه مرائي الحلم المغرق في الترحال
وألامس فيه عمق كياني وتقاويم وجودي
أنّي ينزعني وجهي
أو توغل بي قدماي
لا تبصر عيني

إلا الشارات المتداعيةَ إلى ملكوت يقبع تحت لوائه
وكأن غُلِّقت الدنيا إلا عن غَوْرٍ ينداح إليه
ما عاد لديّ سبيلٌ أن أترجى ظلا
لا ينبت من أضواء يديه القادرتين
أضحى يسكنني
يتمدد تحت إهابي
يسلبني أن أختار لنفسي
ما أحسبه عنواناً لي
ميسم أفكاري . لون تهاويمي أشكالَ رؤاي
وخصائص ما ينفرد به الروح البشريّ
إن قال أقُلْ
إن يرضَ أكن أول من يرضى تَبَعا
إن يسخط لا أستغشي عن دنياه ثوبا
مُنبتّاً لا أنحاز لقلبي
منفيّاً عن دنياي وعن أضواءَ تراوغ في تاريخي
مقصيّاً عن أحلامي اللاتي تعصف بي
ألغي كل صداقاتي الوثقى للأشياء
للنهر و للأنداء وللأطيار
ولوجه الصبح الماثل دنيا
يتعانق فيها الروح حفياً وبواكيرَ النور

ألغي كل حواراتي حتى مع أوهامي
إن شئتُ أجادل عما ينبض في أحناء ضميري
وعن الأشواق اللاتي قد يوقظها فِيَّ طموح الروح

***

ألقاه حين أفتش عن أقنعتي
وأدور لأبحث عن كينونة ذاتي
وبطاقة تعريفي
ووثائق تاريخي المرصودة في الزمن المفقود
ألقاه يكتبُ لي
قبل اسمي صفا من أسماء جدودي
ويسجل يوم ولدتُ ويوم أموت ويوم أجندَلُ حيًا
ويبيّنُ نوعي
بشراً مقضياً فيه بحكم لا يستفتى فيه غير الدم

***

-٢-

أحباءَ روحي
أُقدّرُ أنكمو تُرْهفُون على نسق الشعر . تستعذبون النغم
ويطربكم دفقُهُ الناعمُ المنسجم
ويُفزعكم أن تَرَوْا فيه صوتاً نشازاً
ولكن أبونا الذي في السماء

يشاءُ إذا ما رأى أن يشاء

يُلوِّن فيما يريد الغناء

ولا يُسأل الأب عن غايةٍ

إذا ما مضى . كيف ذاك المضاء

***

أبونا الذي في السماء وفي الأرض . في البر والبحر . في العرصات

العِراض الطِوال

وفي مدرج النمل . في لغة الطير . في الهمس واللمس . في

المُستراد البعيد المنال

أبونا الذي في شعاب الجبال

يفتّش حتى وراء المُحال

عن النبأ المُستراب الصموت

وعن دودة الأرض إمّا حيت أو تموت

يقلّبُ تحت الرمال وتحت العُباب وتحت الحجر

لعلّ الخبايا تشي عن خبر

ويوشك أن ينقب الجُذُرَ الغاشيات على نبضات الأجنّه

ليعرف أنباء عالمها المستكنّة

***

أبونا الذي مُصعِداً في السماء

يراسلني عندما يبتغي ما يشاء

فيقرأ عني الرسالةَ أبناءُ عمي وخالي

وأبناءُ قومي جميعا
لأن عناويننا واحده
وأسماؤنا واحده
وأرقام تلك الهواتف في دورنا واحده
وحتى السّحَن
برغم الرزايا ورغم المحن
تشي في الوجوه بأن قسائم أشباهنا واحده
ورِدَّةُ أفعالنا واحدة
وتطلب مني الرسائل
معذرةً .. من بني جلدتي
ومن قوميَ البائسين الحيارى
رغائبَ مستعصماتٍ كبارا
بأنّا إذا ما سُئلنا نقول نعم
وإما طلبنا إلى نجدةٍ
نقول نعم
بناءً على أن نجدتنا حرةٌ يعربيّه
تنافح عن كل روحٍ جريحٍ أبيّه
وأنّا إذا ما أريد بنا نكبةٌ
نسارع فوراً . نقول نعم
فإنّ أبانا الذي في السماء

ليدرك حتما
متى حارسٌ يتّقي بالغنم
ليوردها مورداً للسلامه
ويحذرُ لو يرتمي في مدى سكةٍ للندامه
وإمّا دعانا إلى مأدُبه
لنأكل فيها الأخ الآبق المارق المستريب الجسور
ونلعن آباءَ من أدّبه
نبادر . نجري . نقول نعم
نقدم تلك القرابين من دمنا المستفَزّ الخنوع
فيرضى . يبارك . يمنح غفرانه للجميع
يغني بصوتٍ رقيق رفيق ولوع
يهدهد حتى ينام على الأغنيات القطيع
•••

أبونا الذي في السماء العليّه
مُحاطاً بكل الشموس البهيّه
يخايلُ بالحكمة المبتغاة الجديده
لتومض في كل قلبٍ صديق
صلاةً من العشق للوثن المستبدّ العتيق
•••

أبونا الذي في المسار القصيّ
يؤلف من حوله كل قطبٍ عصيّ
وكل مَرَادٍ بعيدٍ أبيّ
يباركها معــمداناً جديدا
ويوحي إليها التعاويذَ منظومةً من حديدٍ ونار
أبونا الذي في السماء المنار
وفي الأرض قدسٌ تَعَبَّدَهُ المدلجون الحيارى
إذا يرحلون مع النهر مثل ارتحال الدخان
إذا ما الحرائق يضرَى بها العنفوان
ولا يملكون إذا ما الرياح تهاوين فوق المدار اختيارا
فعند أبينا الذي في السماء القصيّه
إذا لم تَلِنْ للتعاويذ تَنْقَدْ لتلك الصلاة العصيّه
تكن في المدارات نهباً مشاعا
وتَنْهَدُ مسغبةً والتياعا
وتَغْدُ لدى فورة العنفوان القضيّة

•••

تراوَحَ في خاطري مرةً
سؤالٌ غريبٌ أريبٌ عجيب
أنحلمُ يوماً ؟
بأناً إزاء ارتطام المواعيد بالأسئلة

وقدّام أسطورة الرّصد الموغله
تخِرُّ لها . تزحف الطاويات العجاف
وكلُّ مدىً ينحني في انعطاف المطاف
أنحلم أن تستردَّ اليفاعةُ أصلابها من جديد
وأن يتحرّى اغتصاب مواعيده
مبدئٌ كي يعيد
وأن توقظ الأرضُ نُوّامها . تستفز الهمم
تعيد اصطناع اختياراتها
توائمها بين قلبٍ وفم
إذا ما استبدّت نعم
إذا ما تُساقُ إلى الجمر يَضرَى بها مُشعَلاَ
إلى ساحةِ الرّصد المستبد الحرون
يخاتلها مُوعِداً موغلا
لَعلّ بها نبضةً ما تزال
تراوغ . ترفض أن تُعقَلا
تجاوبها في المدى قدرةٌ
على أن تجاسِرَ في قول لا
أنحلم إلا نصير إلى موعدٍ مستبدٍ خئون
إذا ما أردنا على مزلقٍ من دمٍ ... أن نكون ؟

نوفمبر ٢٠٠١

فاتحة الموت العربى

...

راودك النارُ ولون الشفق ونسرُ الليل الآبقُ في الظلمات

ما عدت تحاذر أن تُضنْيِك الشمس

ولا أن يحرق جلدك بردُ الليل العاتى

منفياً خلف تماديك المرجوم بنار الشهوة وتأويل

السطوة وتراتيل القوالين

مصلوباً فوق محاريب عماءٍ بكماء

من سورة ما ينداح إليها صَوْبُ الريح الصدئه

لا تقوى أن ترفع لله دعاءَ

يا جسداً يوغل إذ يصّاعدُ فى أدخنةٍ ظمأى

راودك الخدرُ النابتُ فى أعطافك تمثالاً للموت

فغَدوتَ تواطىء من يعفيك من الترحال

ليسافرَ فى دمك المسكوب على الطرقات

ويُحيل خطاك مرافىء للسفن العابرة المأجوره

ورؤى عينيك مرايا للغابات البائدة المحترقه

أقرأتَ كتابك كلَّ عيون الأرض فبؤت بما أبذين رجاما
ما ظنك فيمن يحرث أرضاً لا يبذرها إلا الموت
مَنْ يُعطى ملح الأرض فيذروه فيئاً محترقا
من يوهَبُ مِلءَ بواديه مالاً وبنينا
يلقمها النارَ وشائجَ محترقاتٍ هولا
ويساوم بالأوراد عليها فى ألسنة الكذابين

•••

نبأ ابنَىْ آدم صار مَشَاهدَ عريك واستخذاءَ خطاك
أذنت دقات المسرح . بدأ العرض وصرت القاتلَ والمقتول
ومضى النظّارةُ فَرَقاً قبل بزوغ الخاتمة الملهاه
قربانك ما أكلته النارُ فعُدْ
واصنع من نفسك قرباناً تأكله النقمه
هاهم قد عادوا كى يُحصوك موائد غرقى فى الأنخاب
فتهيأ قبل بزوغ الليل وعُدْ أدراجك خلف تواريخ
الذعر المنسيّه
وتعلّم إن تأسرك اللحظةُ كيف تجيد اللعبه
كيف تراهنُ خلف جوادٍ نزقٍ لا خلف جوادٍ خوّار
سئمتك الرفقة وانتظرتك بباب الحلبة تجّار الخيل المكسورة

سُيّاسُ العطن ومأجورو عربات السفر الليليه
إيزابيلا عادت تصنع من أجفانك ثوب النار
وتقيم جسور النقمة كى تعبرها
مغلولاً بالزمن المنهار
مقتولاً بالقسمات العار
فأعِدَّ سفائنك المذعورةَ زوِّدْها ببقايا الحلم الكابى
أنشبْ ترحالك مسنوناً فى قلب الريح
وتَخَلَّ الساعة طوْعاً قبلَ يحينُ الوقت لكى تتخلّى كرْها
عن آخر برجٍ من أبراج القصر المَنْفى
أكلتك الأرضُ كما تأكل قيعان النخل الغرقى
فتوضأ من شؤبوب النار النازف من عينيك
وتطهَّرْ من إيثارك دنيا لا يمطرها الغيم
ووعودَ تُنْكَثُ عند تلاقى النار بحد الموت
•••
أمراءُ الجند الملتاثون بصهباء الوقت المحموم
وعيون العسس المنفيين على قارعة الليل
هاهم أعطوك جواز مرورك عبر البوابات الوسنَى
جالوت انكسرت فوق السفح قوائم خيله
وتناثر فى كفيه السيف حطاما

فتعال لتؤتى الملك وتؤتى الحكمة يا داود
واستنفر خيلك كى تتعلم علم النهازين
لنهارٍ تُطفأ فيه الشمس على ناصية السيف
وتعودُ طيورُ الليل لتسكن قيعان الجرذان الحذره

هذان ببابك يا داود التقيا
خصمان بغى بعضهما بغىَ النار على العشب البرىّ
واستلّ البعض الآخر سيف الريح العجلى
وتداعى البعض الآخر فوق الساحة غرقا
أو فوق الساحة فَرَقًا
أو فوق الساحة مَلَقًا
فتخيّر لون طعامك يا داود
وامنح قطعانك فى بادية الذعر بقايا المائدة الملكية
وأقم قُدّاسك فى أحداق الشمس المطفأة الأغوار
وتوضأ من ماعون النار
ثم اقرأ ...... فاتحة الموت العربى

فبراير ١٩٩١

حكاية .. من كليلة ودمنه
الارتحال الى مملكة الرأس الطائر

زعموا من قبلُ بأن رعيلاً ساح إلى مملكةٍ ما
كيما يستدعي النُصْفَةَ من سيدها
فهو الملكوت القيّم فوق رقاب المصروعين جياعاً
كصدىً منداحٍ فوق براحٍ يوغل فيه ضياعا
المقذوفين بقدرة لفح البهتان المرصود
لتخوم الأرض الغرقى فى ملكوت الموت

***

فى مجلس حكم باهٍ مزدانٍ يضوى
قد صار على مرّ الأزمان مثالاً لأقاصيص تُروَى
أدلى مولانا المستعلى مفتى السلطان بفتوى
لم تَدْنُ من البارقة المترامية العظمى
فى سُدَّةِ ملك القابع فى الملكوت
لم تلمس فى دنياه الوتر المفضى للأنغام السكرى
فأطاح برأس المفتى واستدعى مفتياً آخر
فقضى بالعدل الناضح من شرفات القصر الملكى
إذ قد علمه الحكمةَ رأسُ المفتى الطائر

ورعوسٌ طائرةٌ أخرى
فى أدنى أرضٍ مترامية ٍ مَحْلاَ
وصحارى ما انساحت يوماً
إلا لمنافي الليل المشرع للأيام الهُوج

***

وتداعَى الزمن فألقى فوق روابى الأرض الغفلةَ والنسيان
ماتت أصداء النبأ الفاجع ما عادت توحى ببيان
أغفى ناموس الحكمة فى أفئدة المنسلين لواذا
فتداعَوْا نحو تخوم المملكة الفرعاء
كيما يستدعوا زمناً أُقصِىَ من ذاكرة النار
ليصير إليهم ما فقدوه فى الزمن المقتول
ما تسلبه أنياب الغول
إمّا تنداح الفرية تغتال الوطن المغلول
لم يجدوا رأس الذنب لكى تتمثل فيه الفُتيا
حيث ترامت نحو المملكة ذناب الأرض جميعا
صاروا للسيد حجاباً . وزراءَ . قضاةً ومحامين
وارتدّ المنسلون لواذاً . باعوا
بصدىً مُنْبتٍّ صدىءٍ معلولٍ مطلول
إذ خاب لديهم ما ظنوه أملا
نُكِسُوا وارتاعوا وتماروْا وانداحوا جَدَلا

واندقت فوق نواصيهم
قارعةُ الحتف المحتوف
تنزو بدبيب الحسرة . توغل فى الأفئدة الجوف
فتمادَوْا عَدْواً فى ظلمات الأرض حيارى مبهورين
فطنوا يستدعى كل مهيضٍ أمسه
ومضَوْا يتحسس كلٌّ منهم رأسه

***

تمت .. لكن ما تمت بعدُ فصولٌ فى الملهاه
ما زال رعيلٌ يتبارى فى الرحلة صوب فجاج النور
ما زالت سانحةٌ تبدو
لتدور مع الدائرة دواليب الوقت المكرور

يوليه ٢٠٠٢

كانت مدينة الصلاة

" غداة أصدر الكونجرس الأمريكي قراره

اعتبار القدس العربية عاصمة لاسرائيل "

كانت بهيّة المساكن

وزهرة المدائن

كانت مدينة الصلاه

كانت مرايا للقباب والمآذن

وكانت التبتل الموقع النشيد

على صدى الأجراس فى الكنائس

وكانت انعتاقة البخور فى مجامر الزمن

وكان مسرى الحلم فى رحابها

يجتاح أشواق القلوب الرطبة المضناة والمولّهه

لعل يوماً يوشك اللحاق والعناق

وتعقد الصلاةُ فى الرحاب كى يُظلَّ القلبَ حائطُ البراق

وكانت الدروبُ والحارات والمداخل

موسومةً بخاتم الهويّه

منذ استقام فى اللسان الأحرفُ المهيبةُ النبيّه

منذ انتشت بالروح يعربيّه

ومنذ باركت من حولها الرحابَ سورةُ السماء
ومنذ أن دق صلاحُ الدين.فى أكنافها
أوتاده الحفيّه
ليستفىء تحت ظلها الهلال والصليب
وكل مِلّةٍ ترتل الصلاة بالسلام
كانت مدينة السلام
ما طار فى سمائها يوماً غرابُ بَيْن
وما استطالت فوق أرضها مخالبٌ ولا نيوب
وما خبت يوماً بوارقُ التحايا
فى مقلة الصباح والمساء
وما توقدت شرارةٌ فى أعينٍ حقود
وما تولّت ساحة الوداد عن سوانح العطايا
وما انزوت قيثارة السماء عن مواسم الترتيل والغناء

***

وبعد ما أباح ظلّها المُوثَّقَ الرصين
وقِبلةَ الصلاة واندفاعةَ النداء للسماء
والأنجمَ العصيَّةَ الحَرون
مليكُ هذا العالم المضيّع الحزين
وبعدما استطالت الرياح كي تنزاح سورة الإسراء
عن ملتقى قوافل المسافرين

وعن أعِنّةِ الخيول في مواقف المغالبه
وبعدما تهيأت جحافل الذئاب
كيما تقوم في محافل الضجيج والمواثبه
برسم شارةِ التتار فوق القبة المذهّبه
لتستحيل ساحةُ التُقَى والإبتهال والدعاء
مرابضاً لخيلها المغيرة الخئون
سوقاً يُباع في رحابها
ما قد يُقادُ قُرْبَةً
تُهْدَى لرب السيف والدماءِ والفناء
وموكباً
تُقَام فيه حلبةٌ المراهناتِ والمُضَاربه
***
أبعدها
ما زال في لَهَاتنا النشيد والغناء
ما زال مِلأنا الوثوقُ واليقين
بأن عاماً ما يَزال مُوثَقاً بدارة السنين
سينبري صبيحةً ويعتقِ الرهائن
لكي تعود قدسنا بهيّةَ المساكن
وزهرة المدائن
وموئل الرُوّاد والقُصّاد والمسابقين

أم أنَّ بعثاً من رُفاتِنا

يوماً سيعتلي

ذوائبَ المقولة الرهينة المؤجله

ويرتمي

في هول الاقتحام والقتام والمداخله

لعله

يستنجز السنين حلمها

في لحظةٍ

شهيدةٍ . وحرةٍ . وفاصله

أكتوبر ٢٠٠٢

نداء .. من الجنوب

•••

غـداة مذبحة قـــانـــا
بجنوب لبنان

•••

أيا عرب
يا أمةً
من الهواءِ والخواءِ والعناءِ والعطب
أبوكم الذي تفاخرون بالعناد والجِلاد والجِدَاد والقُضُب
وتلغطونَ كل ساعةٍ
بمجده الذي غلب
ما عاد بينه وبينكم نسب
لأنه ـ قد قيل ـ كان يعرف انتفاضة الغضب
وكان عندما تُداس أرضُهُ
وعندما يُطالُ عِرْضُهُ
وعندما في ليلةٍ مغيرةٍ
يُشَابُ حوضُهُ
ينداحُ كالإعصار بالدمار واللهب

وينثني وقد غدا على المدى

تبّت يدا عدوِّه وتب

***

والآن يا عرب

الأرض تحتكم كنوزها عجب

يكاد زيتها

يضيئ في المدى على ذوائب السحب

عِزّاً وجاهاً ومتاعاً ونشب

ونعمةً تسافرون فوقها

لكل متعةٍ رغيبةٍ

عصيّة الطلب

لكنما ما زاد قدركم

غَدَاةَ توزن الأقدارُ والرتب

عن قبضةٍ من الغُثَاءِ أو حمولةٍ من الحطب

***

مارُوا إذا ما اسطعتمو وجادلوا

ما في المقال إن ترون من كَذِب

ألستم الذين سارعوا وبايعوا وضيّعوا

إذ أقطعوا الذئابَ مَرْبَعَ السوائم المضيّعه

وأسلموا العشائرَ الأباة والحرائر الممنّعه

لناب أفعى ذاتِ سحنةٍ خئون

تجيءُ مَرّةً

سافرةً بسُمّها

ومرةً خبيئةً مقنّعه

***

ألستم الذين إن عدا عدوكم

ملأتم السماء بالبكاء والعويل

وخُضتمو مخاض ذي المهانة الذليل

يصُبُّ فوق أرضكم جهنّمه

يقضي على الحياة بالفناء

ولا يصير منكمو

إلا كما يصير من محاربٍ عجوز

قد استباحت السنون أعظُمه

فباع كيما يشتري الدواءَ سيفه

ودرعَهُ وخيله المسوّمة

***

والآن يا عرب

لعلكم

مخافة اصطلاء نارِه

وخشية اندلاعه

إن تنفذوا لساحة المقاومه

وخوفكم تحسُّباً

لساعة اندحاركم

في موقف المساومه

أسرعتمو

لتعرضوا عليه صك الاستباحه

وموثق الخضوع والخنوع

والاعتراف في الشهادة المؤثّمه

إذن فقوموا واستعدوا لاستضافة الصديق

واستقبلوا الطوفان والدمار والحريق

لما تصير كل أرضكم ... جنوبا

أبريل ١٩٩٥

من السيرة الذاتية لوحش أسطوري

...

الحقدُ استنسخ من قلب الغول الهمجيّ

ما لا يحصيه الزمن من الغيلان المستضرية الشرهة

طابورٌ يبدأ من سالفة الخندق والغدر الملعون

لما انحازوا لعدو الله ابن أبيّ ابن سلول

وتخلّوا عن عمدٍ دنسٍ مشبوه

عن عهد رسول الله بألا يَدَعُوا الشرك يعربد من خلف الجيش النبوي

ويمر بخيبر وبحارات الجيتو في تاريخ يهود

حقدٌ عاثته كل بقاع الدنيا

أورثها كلَّ سواد الغِلِّ المالئ كل العالم شرا

حتى لفظتها كل شعوب الأرض

حين تولتها الرهبة أن ينسرب يهود إلى أوردةِ الكون

تحت دعاوى فاجرةٍ ملّتها أذن التاريخ

كنقاء الجنس وأسطورة شعبٍ مختار

ولتغدوَ حد السيف المسلط فوق رقاب العالم
وتجئ إلينا عُصبةُ غدرٍ يبرق في عينيها كل سعار الطمع الأسطورى
أن تملك كل بلاد المشرق كي تمحوَ ظل الإسلام
بدءاً من رأس الفتنة بن جوريون
والأفعى جولدا وثعابين الإفك المملوئين عداءً واستعلاءَ
وصعوداً في الأسطورة حتى تبلغ حداً لم تبلغه الخسةُ بعد
حتى استشرى وجهُ السفاح الذئب الوحش القاتل والخنزير
آرييل شارون
وحشٌ مجنونٌ يشرَهُ في دمه اللفظ الملعون
خرَفُ التلمود الزاخر بالأكذوبة وتهاويل الإفك
وكأنَّ ثعابين التاريخ ترامت سُمّاً في جنبيه
فمضى ينفثه غِلاً يعكس كره يهود الدنيا لتواريخ النور
آرييل شارون
وحشٌ شرهٌ مجنون
استدعى كل عذابات القهر المنداحة في تاريخ يهود
واستقدم من أبهاء الزمن الغابر ما أنتجه الفكر
الضاربُ في أعماق الزيف
ومن الأحلام المترامية سُعَاراً مُرّاً تضرَى النقمة فيه
جَرَّاءَ سنين التيه وعمر شتات الروح وأحقاب الزمن المنداح هباءَ
ولدته النارُ عواصف ريحٍ مسمومٍ محمومٍ

فتواتر في الميلاد يُحَرِّقُ كل القيم الإنسانيه
أرسله بن جوريونَ ليُعْلِيَ ركناً من أركان المجد القادم
في " قبية " لما كان صغيراً في الجنديةِ بعد
قد كان الوقت بليل
والناسُ نيامٌ تحلم لو يدنيها الصبح من الأمن الذاوى المفقود
لكنّ الصبح توارى
ما حملته الشمس إلى الجثث الغرقى في الدم
آرييل شارون
صبَّحَهُم قبل الصبح بوابل من ألسنة النار
وتهاوَوْا ما اسطاعوا أن ينفلتوا خلف جدار
أو أن ينسربوا تحت ظلامٍ ما وجدوا سانحةً فيه
وإذا أشرقت الشمس بصبح كابٍ معلولٍ مغلول
كان الجندىّ المنتفخ الأعطاف غرورا
والمثقل بتهاويل الزهو العبراني
يتسلم نوط الشكر وصكاً بالترقية العليا
من رأس الأفعى بن جوريون
إذ كان رصيد الحملة أن القرية صارت أثرا بعد العين
وأراحوا الجيش الصهيونيّ الباسل والمغوار
كيما يتفرّغ أن ينفلت إلى مجزرةٍ أخرى
ليريح الدولة من أبناء الأفعى العرب الموصومين

كانت " قِبْيَةُ " فاتحة المشهد
تجربة يثبت فيها السيد آرييل شارون
مقدرةً عظمى في الانجاز الفظ
وفي تقديم المُثُل المتناهية الغلظة في تحطيم القيم الإنسانية
الهدمُ . الهتكُ . القتلُ . الغيلةُ والتدمير
واستشراء العدوان الفاجر دون ضمير
قد يرحم طفلا أو يُقْصِي عن لفحِ النار عجوزاً شيخا
أو يُدْني امرأةً كي تتحامى خلف جدارٍ من ألسنةِ النار
آرييل شارون
لا يعرف قيمة أن يُقْصَى الأفراد المدنيون
عن ساحةِ حربٍ ضاريةٍ
حسب المتعارف من قانون الحرب
لا يعرف معنى يدنيه
من مفهوم حقوق الإنسان
لكنّ الرجل يجاهد كي يبقى
قانونٌ أحقر من قانون الغاب
دستوراً للغطرسة والإستعلاء
وجنون القوة حين تُوازِنُ بين مَرَادٍ يوغلُ فيه الحقد
ومعان يمكن أن تبعدها عما تبغي شبرا
ومضى شارون يحاول في تجربةٍ أخرى

أن يسبق في المضمار جميع السفاحين غلاظ الأفئدة العمياء
استدعاهم من خلف زوايا الزمن المدبر كي يعطيهم درسا
لم يُقرَأ في تاريخٍ عدوانيٍّ بعد
كي يُعْرَفَ أعتى مجرمِ حربٍ في التاريخ

صابرا - شاتيلا
ما زال العالم يذكر لما كان يجاهد ألاّ يوصَمَ بالصمت المشبوه
وجبين السادة من حكماء الدنيا يندى خجلا
وأدار المشهد كي يبدو للدنيا مثلا
يتحاكى فيه الناسُ جميعاً
ما امتدّ بهم تاريخ

***

شعبٌ تلجئه المحنة أن يتبعثر فوق الأرض شظايا
لم يكفِ يهودَ بأن شرّده خلف مهاوي التّيه
وبأن أبدله عن أزمان العيش الوارف في أرض الأجداد
يأنسُ بالدار وبالأطفال وظل الكرمةِ والبستان
ومواسم يحصد فيها ما زرعته يداه
أبدله عنها ما يعتقل الروح ويُسْلِمُ إيقاع البدن الفوّار
لزمان العجز وعمر الحسرة ومشاوير التّيه
أبدله عنها مِزَقاً يجد لها دوراً وخياما

وظلالَ من أعوادٍ معروشاتٍ وَهَتَى
لم يكفِ يهودَ بأن ألجأه يُولِي الظهر إلى الجدران
ويحاور حلم الثأر وحلم العودةِ وتباريح سنينٍ سود
آرييل شارون
في بضع سويعاتٍ ذاهلةٍ بالأهوال
قدّم للعالم فيلماً تسجيلياً
يحكي عن أبشَع ما اقترفته أيادي الجبارين
عن وصمة هذا العصر وعن صورة غدر الإنسان
يا سادةُ عفواً
ليس بإنسانٍ أبداً
من يستهويه الدم
ويثير لديه غرائز وحش أسطوريٌ كاسر
لا يُشبع فيه غوائل مشتعلاتٍ حقدا
لا يُرْوِى ظمأ
يحرق فيه القلب ويشوى الحلقَ ويمضى مندلقاً بالنار
الا أن يُبْصِرَ أهلَ الحِلّةِ صرعى
أطفالاً رُضّعَ سيقت لتهاويل الموت
ساعة كانت تترجّى ساعة أمنٍ في أحضان الأم
وشيوخاً لايجدون الحيلةَ كي يتحاموا عن أنفسهم كيدا
وشباباً

عاجلهم بالغدر الأعمى
حتى لايصبح منهم يوما
من يعجله بقذيفة صخرٍ منحوتٍ من نار
أو ملحمة استشهادٍ يُرْخِصُ فيها النفس
آرييل شارون
الآن يعاود هذا الفاجر ناموس الغدر الوحشىّ
من ساعة أن وطئت قدماه المنتعلان العار
والمشتملان خبائث هذا الخطو الدنِس الفاجر والغدّار
والمشتعِلان بنارِ الحقد الموغل في الزمن الممرور
الحرم القدسَ الضارع بالصلوات وبالدعوات
الآن يعاود هذا الآبق من ملكوت البشر النابض بين جوانحهم
حس الإنسان
الوالغ كالخنزير يلوك الجيف ويوغل تحت مهاوي الطين
بعد أن استعلى حتى صار كبير يهود
لم يُثْنِ هواه الفاجر أن أصبح في كل بلاد الدنيا
عنواناً فظاً للإجرام
وحقيراً يوغل حتى يغدوَ للأقذار مثالا
هو ذاك يعاود محنة " قبية " ومخازى "صابرا - شاتيلا "
لكن يا سادة إن الحال تبدل
انطلق الآن شعاعٌ يُوفِى الدنيا أملا

الصبية ما عادوا يرهبهم صوبُ الموت
والنسوة يستقبلن مصارع حبات الأكباد
بزغاريد الفرح المشهود
وكأن شباباً حين يُقادُ على مدرجة الموت
يسعى ليُزَفَّ إلى جنات الخلد عريسا
والقادةُ قد نذروا للموت نفوساً عطشى
الواحد منهم قد يستقبل شأن الموتَ كما يستقبل صوت
أذان الفجر
يوحي بالبشرى تلمع في أضواء صباحٍ صافٍ
حتى الأطفال غَدَوْا فيضاً من نورٍ في ملحمة النصر الآتي
الدرةُ . إيمانٌ . ليلى . بلقيس . سعاد وأحمد و.و.و
طابورٌ لا يُحصيه الغدُ ولا يلحقه المدّ
آثر شارون الفاجرُ أن يسلكهم في الملحمة الكبرى
كي يضعوا اللعنة طوقاً حول رقاب الجبارين
يسلمهم لتواريخ العار ويعقلهم في قلب النار
في الدرك الأسفل في قاع الزمن المفقود
يغدو شارون الآن ليشعل في كل مكان صابرا ـ شاتيلا
وكما أغمض عينيه العالم قبلُ وأولى ظهراً للسفاح
إنا نبصره الآن يحاذر أن يوليه وجها
فمليك العالم يعطي الضوء الأخضر للسفاح

كي يمعن في الإجرام ويوغلَ في أنهار الدم
صار العالم ضيعته المتناهية الظل
وغدا شارون وكيل الضيعة يقضي كيف يشاء
محفوفاً بالبركات تكالُ إليه من عاصمة النور
ومن الكفين الناضِحتين رغائب تضرى فيها النار

أكتوبر ٢٠٠٢

يهوذا .. يعود الى ساحة المجد

•••

طفولته كانت الخطوةَ المرتجاةَ البريئه
يُرَجّى براءتَها عالمٌ
مستباحُ المدى
تواصل فيه العذابُ اقتحاما
وحلماً صريعاً وموتاً زؤاما
وترنيمةُ المهدِ كانت صلاة الأناشيد والأغنيات
مُوَقَّعَةً في انسياب العذوبة موصولةً بنداء السماء
وظِلُّ المَذَاوِدِ كان السحاب الذي يتوالى رطيب النّدى
ويرسل أفياءه للتواريخ منظومةً من ضياء
مُضَمَّخَةً بعبير الوليد الجديد
وهاهو صوت النواقيس يهديك للناس قُدساً نبيّا
وصوتا حفيّا
وصَوْبُ التراتيل يَهْمِي بدمعك نهراً سخيّا
يُبارك إيقاعَه ساحة المنشدينَ

•••

ويا أيها السيدُ الآن يصمت صوت النواقيس والأغنيات
ليبحث عن لون أبراجه في زحام الحطام
وبين تلال الحصى والرُكام .
ويخرس عزف التراتيل يُذبَحُ خلف اللهاةِ العييّه
لأن يهوذا الذي باع وجهك للسيف والنطع عاد
وعادت أراجيفه المُدَّعاةُ الغبيّه
لأن وصاياك في الحب ما أصبحت
لديه سوى قبضةٍ من رماد
فما عاد يقنعه أن مضى بالثلاثين فضه
وما عاد يملأ عينيه إلا لو احتاز كل المدى
وساق إليه البرايا ضحايا
عَمَاءً . عَياءً . هباءً . سُدى
بلا صارخٍ ضارعٍ أو صدى
وهاهو يطلق نيرانه المُرَّة المستبده
لِيَحْطِمَ أيقونةَ المهد فوق ظلال المذاود
وينزع آباءه الطيبين التُقاه
لكيما يقادوا إلى السبى منتعلين الجليد
ويلقى بهم في أتون اللظى والحديد
أُسارى . حيارى تجندلهم عثرات الطريق
ويهوى بهم للمدار العميق السحيق

عذابُ القيود وعصفُ الحريق
وهاهو عيدك يُقبل في " بيت لحم " الأسيرْ
فلا تستضاء على جانبيه الشموع
ولا تنتشي فرحة العيد ريّانة في الضلوع
ولا تستهلُّ الدروب الصباح الحزين الكسير
بخطو المُنيبين للزحف
يرتحلون إلى موسم البركات الأثير
لأن يهوذا أقام متاريسه في الطريق
وغلّقَ أبواب مهدك دون الوليّ الصديق
وسدَّ الدروب لكيلا تبادر سانحةٌ في الشقوق
ويأيها السيدُ الآن تُسلّمُ للمرة الثانيه
وسوف يعاود للمرة الألف وجهُ العُتُلِّ الخئون
ليُسلِمَ للتِّيه والنار والعاصفه
مفاتيح بيتك والمهدَ والموئلَ الوادعَ المستكين
وكلَّ الدروب المُفزَّعةِ الخطوةِ الواجفه
لقاءَ مَدىً موغلٍ مستطار الجناح
ليغدوَ في الزمن المُرِّ والمستباح
أميراً على قبةِ الكون مستعلياً فوق متن البراح
ولو سيق ألفُ مسيحٍ إلى النار مُندلعاً في اللظى والجراح

يوليو ٢٠٠٢

قصيدتان للعراق

***

من امٍ عراقية الى الرئيس كلينتون

***

عفوا .. معذرةً

يا سيد هذا الكون

أن تجسر حمقاءٌ مثلى

أن تمثل بين يديك

أن تتداعى

قُدَّام بهاء السطوة إن يتحَدَّرْ من عينيك

معذرةً أن أخترم جلال الساحة

أُهْدِرَ في ملكوت الوقت

بضعَ ثوانٍ

يمكن لو لم توقِفْك جسارةُ حمقاءٍ مثلى

أن تحدث أمراً فى ملكوت الكون

فأنا امرأةٌ قد جرؤت يوماً

وانساحت خلف عواطفها

وأحبت رجلاً ثم اقترنت به

وانفجر الوقت لديها حتى ولدت طفلاً

***

عفواً يا سيد هذا الكون
أنى قارفت جريمة حبٍ فى مملكتك
أو ليست بلدى جزءاً من ملكوت
يقضى فيه في قبضتك السيف ؟
عفواً .. عفواً
أنى اخترقت عاطفتى
جدران الطوق الموغل حول بلادى
لما لامَسَ أهداب مشاعري المأفونه
هذا الحب المأفون
فأنا امرأةٌ من بلدٍ ليس يُصَرَّح له
وفق أقانيمَ تُضَوّى
في شعلة تمثال الحرية في نيويورك
أن يعرف معنى الحب
أو معنى أن يترجّى طفلاً
كيلا ينفجر سديم العالم يوما
لما يتواتر كل صباحٍ في ميلاد

***

أعترف بأنى مذنبةٌ حمقاء
هذا المولود الوافد رغماً عن شرعتكم
الماثل في أوردتى

حلماً ذا لونٍ نورانيّ
يُفترض بأني أمتع قلبي به
أكحل عينيّ بما ينساح إليها من عينيه
وأروّي ظمئي بالأشواق إليه
حتى ينفرط أمامي ظلا
وأمام سنِيّ ربيعاً . أفراحاً . مُتَّكَئا
يسندني لما يَوهَنُ مني العظمُ ويُشعَل رأسي شيبا
طفلي يا سيد هذا الكون
ينطفئ . يجوع ويظمأ . يعرَى
وأنا لا أملك أن أتدبر أمرا
ثدياي احتُلبا حتى عادا قصباً تصفر فيه الريح
وشياهي فيها انطفأ الماء وعشّش فيها القيظ
لما لاقين عجافاً سبعاً لا تغني من جوع
لا أملك حتى أن أسقيه الماء
ما عاد بدجلة ماءٌ يجري
ما عاد يُرَقرِق فيه غير الدم
أنساحُ . أجَنُّ . أدلّي من عارضة الذعر
أسعى سبعاً . سبعينَ ومائةً . ألفا
أتحرّى دفقاً لا يندفق سوى إعصار النار
***

يا سيد هذا الكون

لصغيري

إني لا أسأل أحداً ثوبا

فأنا أخزنه بين عروقي

وأدثره

برضا عينيّ اللاهفتين

أدفئه بحرارة دمعي المدرار

أستر هيكله الناتئ بين حنايا جلدي

وبقايا العظم الناشب في جنبيّ

حتى لا تدهمه الريح وتضرى في عينيه النار

كلا يا سيد هذا الكون

وأنا لم أرجُ إليك لطفلي

أن يلهوَ يوماً

في " وِلْدِزني " أو عند " الميريلاند "

أو حتى أن يلهوَ بشظايا لعبٍ شائهةٍ منسيّه

ألقاها طفلٌ أمريكي

في سلة قاذورات البيت اليوميه

هذا شرفٌ

لا يجرؤ طفلي

حتى أن يحلم به

عفواً يا سيدُ . عفواً
طفلي لم ينس اللعب كباقي أطفال العالم
لكنّ الطفل اعتاد ومنذ اندلعت عاصفة الصحراء
أن يلهوَ ببقايا عُلب الأطعمة الفارغة
وشظايا البارود المنطفئ على جدران الدور
وبقايا صحفٍ كانت تطبع فيها
صور الأطفال المصروعين جياعا
لكني أدفع باقيَ عمري

لو أني أقدر يوما
أن أُعطيَه لما يتشكّى قرصَ دواء
أو جرعةَ ماء
أو إنْ يتضوّر جوعاً كوب حليب
قد يُرْجِئُ في عينيه الموت
يا سيد هذا الكون

نوفمبر ١٩٩٧

ليلى المريضة في العراق

***

"في الهجمة الأمريكية على الشعب العراقى
والمسلمون يستطلعون هلال رمضان
عام ١٤١٩ هـ"

* * *

كنـــا نـــهيئ للرحيـــل رواحـــلاً

عصمـاء تسـتهدى الـهدى فـى الأنجـم

ينـــهلُ عامـــاً بعـــد عـــام ضوؤهـــا

لألاءَ يشـــرقُ فـــى بـــراح معتـــم

كنـــا نعـــد الـــزادَ للســـفر الـــذى

يوفـــى انعتـــاق الشـــمس للأفـــق العَمِـــى

ونُميـــل أعطـــاف المـــدى فـــى نشـــوة

ونُسـيل نبـع الحـب فـــى القلــب الظمـــى

نـــترصّدُ الآفـــاقَ نبحـــث عـــن صـــدىً

يُـــهدى الـــهلالَ إلـــى القلـــوب الـــهُيّم

وبـــدا الـــهلالُ وقـــد تضـــرّج وجهُـــهُ

بـــدم الحســـين علـــى هـــلال محـــرم

رمضـــانُ أقبَـــلَ والعـــراقُ جدائـــلٌ

محلولـــةٌ وعقـــائلٌ لـــم تَسْـــلم

وحلائـــلٌ بـــاتت يُسَـــامِرُ ليلـــها

فقـــد الحليـــل ولوعـــة المُتَـــأيّم

ودم يســـيل علـــى الـــدروب وأربُـــعٌ

تنْعَـــى شـــوامخ عزّهـــا المتـــهدم

والنافثـــاتُ الـــهولَ ترجُـــمُ بـــاللظى

فتُميـــت مـــن روعٍ وإن لـــم ترجُـــم

تتســـلُ خلـــف الليـــل يومـــضُ برقُـــها

فـــوق المدينـــةِ كانســـلال الأرقـــم

وكأنمـــا بغـــدادُ سِـــيقَ نـــهارُها

مـــن غـــير ســـالفةٍ لنـــار جـــهنم

***

ليلـــى المريضـــة فـــى العـــراق مهيضـــة

لا عـــن جـــوىً مُضْـــنٍ ولا شـــوقٍ ظمِـــى

لـــم يُغْـــى مهجتَـــها غـــرامٌ آسِـــرٌ

أبـــداً ولا عشـــقٌ مضـــى بمتيّـــم

ليلـــى المريضـــة لـــم تجـــد مـــا تتّقـــى

حتـــف المنيّـــةِ أو قضـــاءَ المعـــدَم

وتلفتـــت فـــى الـــدار لـــم تجـــد الـــدوا

ءَ لـــذى القـــروح النـــازفِ المتـــألم

ورأت وليدتـــها تمـــوت بحجرهـــا

تـــذوَى كمـــا يـــذوى اخضـــرارُ الـــبرعم

فُطِمَـــتْ لغـــير أوانـــها فـــهوت إلـــى

دركِ المنـــون ومثلـــها لـــم يفطـــم

لـم تَقْـوَ ليلـــى أن تجـير بريئـــةً

حشـدوا لمصرعـها لظـىً لـم يرحـم

ذَهِلَـتْ إذا حُـمّ الحِمـــامُ وأُسْــبِلَتْ

وأبـــانت الفصحـــى بغـــير تَكَلُّـــمِ

ومضـت وفـى العينيـن عُتْـبٌ ضــارعٌ

وكـأنَّ سـهماً مـن كنانتـــها رُمِـــى

وكنوزُهــا تحـــت الـــثرى مغلولـــةٌ

مـــا بيـــن جبـّـارٍ وقيــدٍ مُحكــمِ

كــانت لَــوَ انَّ القيـد لــم يَـكُ ظالمـــاً

تـهوى لــها الدنيــا تلـــوذ وتحتمـــى

•••

ليلـــى المريضـــةُ مــا استفاق لحلمــها

وطـــن تداعـــى فـــي ذهــــول النـــوم

وطــــنٌ ترامــــى حولـــــها دولاً إذا

يُحْصَـى النُّضَّــارُ بأرضــها لــم يُرْقَـــمِ

ذهبـاً تــأجّج فــي الصــدور قلائــداً

وأحــاط بــاللألاء طــوقَ المعصــم

وارتــدَّ فــي الآفــاق يملؤهــا صــدىً

عــن قصــةِ النعمــاء والمتنعّــم

ولربمــا عــن قصــة البلــهِ الأولــى

بــاعوا ذُرا التــاريخ مغلــول الفــم

ثــم اســتناموا للــذى أفضــى بــهم

لمصــارع الموتــى وأســواق الــدم

ومَضَــوْا إلــى الدنيــا الجديــدة أمــة

مــا تســتبين خُطــى الزمــان الأعجــم

تنقــادُ بــالذهب الــذي تُدلــى بــه

حتــى تُقــاد إلــى أتــونٍ مُضْــرَمِ

بخلــت بــه أن يســتهلّ مــروءةً

تقضــى حقــوق المســتجير المســلم

ومضت تخاتل نفسها في قصةٍ

عن ماردٍ غولٍ عتيّ مجرم

أهدته من دمها رحيق حياته

وأرته صورة خزيها لم تسأم

فارتدّ يوغل كيده فإذا بها

زُمرٌ تساقُ إلى شفيرٍ مظلم

وإذا بها بين الشعوب رهينة

أبداً لغير مراده لا تنتمي

ومتى أبى تذعن لسوط إبانه

ومتى يُردْ تُغنْ القلوب وتُرغم

ومضى يؤقت للحتوف مواعِداً

فمتى يجئ ميعادُ قوم يُبرَم

اليوم بغدادُ ارتمت بسعيره

وغداً لأخرى فانظروا من ترتمي

ديسمبر ١٩٩٨

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب
١٩١٢٨ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى I.S.B.N
977-6077-03-X